# سلام الله على صادق الوعد

<"xml encoding="UTF-8?>

سلام الله على الصادق قولاً وعملاً، سلام الله على من هو للخلق نجاة وهدى، سلام الله على المعطاء الذي أجزل العطاء والندى، سلام الله على البكاء ليلاً الزاهد عن ملذات الدنا، سلام الله على ذي الشمائل والأخلاق العلى، سلام الله على الصابر في المحن والبلاء، سلام الله على من القلوب توّاقة لشم ترابه في البقيع الطهر، السلام عليك يا صادق الوعد.

## المنصور الدوانيقي والتضييق على الإمام الصادق عليه السلام

حين تولّى الحكم المنصور الدوانيقي بعد أخيه أبي العباس السفّاح سنة (136هـ) عبّر عن مكنون حقده على الإمام الصادق عليه السلام وصحبه من العلويين وغيرهم.

وقد لقّب بالدوانيقي لحرصه على المال وبخله رغم أنه جمع ثروات لم يجمعها خليفة قبله، وأصل الدانق (دانه) أي حبة، وهو جزء الدرهم، وذكروا لتسمية المنصور بأبي الدوانيق والدوانيقي أسباباً، يجمعها حرصه على المال، وبنى بغداد، وقام بمشاريع كبيرة! لكنه كان مفرطاً في بخله! وكان المنصور يرقع ثيابه بيده ويُحاسب على الدانق حتى عُرف بالمنصور الدوانيقي؛ وذات مرة مرض المنصور، فاستدعى طبيباً له، فعالجه فتماثل للشفاء وقدم له رغيفاً من الخبز في مقابل إنقاذه من المرض، إلا أن الطبيب علق الرغيف في رقبته، وأخذ يتجول في السوق وانهالت أسئلة الناس عليه دهشة قائلين: ما السبب في تعليقك للرغيف على رقبتك؟؟ فأجاب في سخرية: جائزة الأمير على طبابتي له، وعلى إنقاذ حياته؛ ودق الخبر ردهات قصر المنصور، فاستدعاه وقال له بصلافة: إنك لا تستحق رغيفاً كاملاً مقابل طبابتك لي، فأخذ ثلاثة أرباع القرص وأعطى الطبيب الباقي!!

وقال عنه المؤرّخون: وكان المنصور خدّاعاً لا يتردّد في سفك الدماء وكان سادراً في بطشه مستهتراً في فتكه.(الكامل في التأريخ:4/355)

ووصفه ابن هبيرة وهو أحد معاصريه بقوله: (ما رأيت رجلاً في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشدّ تيقّظاً من المنصور).(تاريخ اليعقوبي:2/399)

لقد بادر المنصور إلى قتل أبي مسلم الخراساني الذي كان يبغضه، وأبو مسلم هو القائد الأوّل للانقلاب العبّاسي، وذلك بعد أن أعدّ له المنصور مكيدة وأغراه بالمجيء إلى بغداد، وجرّده من جميع مناصبه العسكرية.

ولمّا دخل أبو مسلم الخراساني على المنصور قابله بقساوة بالغة وأخذ يعدّد عليه أعماله وأبو مسلم يعتذر عن ذلك.

ثمّ صفّق المنصور عالياً حسب الاتّفاق مع حرّاسه لتكون الصفقة بمثابة ساعة الصفر، فدخل الحرّاس وبأيديهم السيوف فقال: أبو مسلم للمنصور متوسّلاً استبقني لعدوّك، فصاح به: وأيّ عدو أعدى لي منك؟!

وبمثل هذا الأسلوب أيضاً قد غدر بعمّه عبد الله بن علي حيث أرسل عليه بعد أن أعطاه الأمان ثم قتله بعد ذلك.(تاريخ الأُمم والملوك:6/266)

أما مخطّطه الخبيث ضدّ الإمام الصادق عليه السلام ونهضته الإسلاميّة بشكل عام فقد أخذ ثلاثة اتّجاهات:

## الاتّجاه الأول

اتّخذ المنصور في هذا الاتّجاه أسلوباً مرناً محاولاً فيه الاستفادة من جهد الإمام عليه السلام واحتوائه ضمن سياسة الخلافة العباسية فقد كتب إليه: (لم لا تغشانا كما يغشانا سائر الناس؟ فأجابه الإمام عليه السلام: «ليس لنا ما نخافك ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له، ولا أنت في نعمة فنهنّـئك بها ولا تراها نقمة فنعزّيك بها، فما نصنع عندك!؟»، فكتب إليه: تصحبنا لتنصحنا؛ فأجابه عليه السلام: «من أراد الدنيا لا ينصحك، ومن أراد الآخرة لا يصحبك». قال المنصور: والله لقد ميّز عندي منازل الناس، من يريد الدنيا ممن يريد الآخرة وإنه ممّن يريد الآخرة لا الدنيا).(كشف الغمة:2/420)

ومن أساليب المنصور مع الإمام عليه السلام في هذا الاتّجاه ما جاء عن عبد الوهّاب عن أبيه حيث قال:

بعث أبو جعفر المنصور إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد عليه السلام وأمر بفرش فطرحت له إلى جانبه، فأجلسه عليها ثم قال عليّ بمحمد، عليَّ بالمهدي؛ فأقبل المنصور على جعفر عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله حديث حدّثتنيه في صلة الرحم، اذكره، يسمعه المهدي؛ قال: «نعم، حدّثني أبي، عن أبيه، عن جدّه عن علي عليه السلام قال، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إنّ الرجل ليصل رحمه وقد بقي من عمره ثلاث سنين، فيصيرها الله عزّ وجّل ثلاثين سنة ويقطعها وقد بقي من عمره ثلاثون سنة، فيصيرها الله ثلاث سنين»، ثم تلا عليه السلام: {يَمْحُوا اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}.(الرعد:39)

قال: هذا حسن يا أبا عبد الله، وليس إيّاه أردت، قال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه

عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: صلة الرحم تعمّر الديار وتزيد في الأعمار وإنْ كان أهلها غير أخيار». قال هذا حسن يا أبا عبد الله، وليس هذا أردت. فقال أبو عبد الله عليه السلام: «نعم حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلة الرحم تهوّن الحساب وتقي ميتة السوء». قال المنصور: نعم إيّاه أردت.(بحار الأنوار:47/163)

إنّ السلاطين يخافون الموت، فالإمام عليه السلام ركّز على هذه الناحية وربطها بصلة الرحم لتعالج الحقد والكيد الذي يشغل ذهن المنصور ضدّ الإمام والعلويين من أهل بيته، لذا أكّد عليه السلام عن طريق الأحاديث بأن طول العمر يرتبط بصلة الرحم.

## الاتّجاه الثاني

كما تحرّك المنصور بقوة نحو الإمام عليه السلام عن طريق نشر عيونه وجواسيسه التي كانت تراقب حركة الإمام الصادق وترصد نشاطاته لتزوّده بآخر المعلومات، ليتّخذ منها مسوّغاً للنيل من الإمام عليه السلام والتضييق على حركته التي كان يرى فيها المنصور خطراً حقيقياً على سلطانه وبالتالي تمهّد له تلك التقارير أن يصوغ ما يريده من الاتّهامات لأجل أن يتخذها ذريعة في قتله.

وقد تضمّن هذا الاتّجاه جملة من الأساليب.

## الأسلوب الأول

عن رزام بن مسلم مولى خالد القسري قال: بعثني أبو جعفر المنصور إلى المدينة، وأمرني إذا دخلت المدينة أن أفضّ الكتاب الّذي دفعه إليّ وأعمل بما فيه; قال: فما شعرت إلاّ بركب قد طلعوا عليَّ حين قربت من المدينة، وإذا رجل قد صار إلى جانبي، فقال: يا رزام اتق الله، ولا تشرك في دم آل محمّد قال: فأنكرت ذلك فقال لي: دعاك صاحبك نصف الليل، وخاط رقعة في جانب قبائك، وأمرك إذا صرت إلى المدينة، تفضها وتعمل بما فيها؛ قال: فرميت بنفسي من المحمل، وقبّلت رجليه، وقلت: ظننت أن ذلك صاحبي وأنت يا سيّدي صاحبي، فما أصنع؟ قال: ارجع إليه، واذهب بين يديه وتعال، فإنه رجل نسّاء، وقد أُنسي ذلك، فليس يسألك عنه، قال: فرجعت إليه، فلم يسألني عن شيء، فقلت تصدق مولاي.(دلائل الإمامة:129)

وعن مهاجر بن عمار الخزاعي، قال: بعثني أبو الدوانيق إلى المدينة، وبعث معي بمال كثير، وأمرني أن أتضرّع لأهل هذا البيت، وأتحفّظ مقالتهم، قال: فلزمت الزاوية التي مما يلي القبلة، فلم أكن أتنحّى منها في وقت الصلاة، لا في ليل ولا في نهار.

قال: وأقبلت أطرح إلى السؤال الذين حول القبر الدارهم ومن هو فوقهم الشيء بعد الشيء حتى ناولت شباباً من

بني الحسن ومشيخة (منهم) حتى ألفوني وألفتهم في السّر.

قال: وكنت كلما دنوت من أبي عبد الله عليه السلام يُلاطفني ويكرمني حتى إذا كان يوماً من الأيام بعد ما نلت حاجتي ممن كنت أريد من بني الحسن وغيرهم دنوت من أبي عبد الله عليه السلام وهو يُصلّي ، فلما قضى صلاته، التفت إليّ وقال: «تعال يا مهاجر!» – ولم أكن أتسمّى (باسمي) ولا أتكنّى بكنيتي – فقال: قل لصاحبك: يقول لك جعفر: «كان أهل بيتك إلى غير هذا أحوج منهم إلى هذا، تجيء إلى قوم شباب محتاجين فتدسّ إليهم، فلعلّ أحدهم يتكلّم بكلمة تستحلُّ بها سفك دمه، فلو بررتهم ووصلتهم (وأنلتهم) وأغنيتهم، كانوا إلى هذا أحوج مما تريد منهم».

قال: فلما أتيت أبا الدوانيق، قلت له: جئتك من عند ساحر، كذّاب كاهن كان من أمره كذا وكذا فقال: صدق والله لقد كانوا إلى غير هذا أحوج، وإيّاك أن يسمع هذا الكلام منك إنسان.(الخرائج والجرائح:2/646)

## الأُسلوب الثاني

ومن أساليبه باتّجاه سياسة التضييق التي فرضها على الإمام عليه السلام محاولة تسليط الضوء على بعض الشخصيّات ليجعل منها بدائل علميّة تغطّي على الإمام وتؤيّد سياسته وتسهم من جانب آخر في تضعيف القدسية والانجذاب الجماهيري نحو الإمام وتؤدّي بالنتيجة إلى شق وحدة التيار الإسلامي الذي يقرّ بزعامة الإمام عليه السلام وأعلميته وإيجاد الفرقة والاختلاف.

وقد نجح المنصور بهذه الخطوة فكسب البعض من طلاّب الإمام عليه السلام حين أحاطهم بهالة من الاحترام والتقدير وخلق منهم وجوداً قبال مذهب الإمام ونهجه الإسلامي الأصيل.

ذكر أبو القاسم البغّار في مسند أبي حنيفة فقال: قال الحسن بن زياد سمعت أبا حنيفة وقد سئل: من أفقه من رأيت؟ قال جعفر بن محمد، لمّا أقدمه المنصور بعث إليّ، فقال يا أبا حنيفة! إنّ الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد فهيّأ له من مسائلك الشداد. فهيّأت له أربعين مسألة، ثم بعث إليَّ أبو جعفر وهو بالحيرة فأتيته.

فدخلت عليه، وجعفر جالس عن يمينه، فلما بصرت به دخلني من الهيبة لجعفر ما لم يدخل لأبي جعفر، فسلّمت عليه، فأومأ إليّ فجلست، ثم التفت إليه، فقال: يا أبا عبد الله: هذا أبو حنيفة، قال: نعم أعرفه. ثم التفت إليّ فقال: يا أبا حنيفة ألق على أبي عبد الله عليه السلام من مسائلك.

فجعلت ألقي عليه فيجيبني، فيقول: «أنتم تقولون كذا، وأهل المدينة يقولون كذا ونحن نقول كذا» فربما تابعنا، وربما تابعهم، وربما خالفنا جميعاً. حتى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بشيء ثم قال أبو حنيفة: أليس أنّ أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس؟!.(سير أعلام النبلاء:9/543)

# الأُسلوب الثالث

لقد كانت سياسة الإمام عليه السلام إزاء حكومة المنصور ذات طابع غير ثوري، وإنما سلك الإمام نفس نهجه السابق في التغيير والإصلاح، وقد أوحى للمنصور في وقت سابق بأنه لم يكن بصدد التخطيط للثورة ضدّه بل صرّح له في أكثر من مرة بذلك، إلاّ أن المنصور لم يطمئن لعدم تحرك الإمام وثورته التغييرية وذلك بسبب ما كان يشاهده من كثرة مؤيديه.

يحدثنا الإمام الصادق عليه السلام عن الشكوك والتساؤلات التي أثارها المنصور بوجه الإمام عند لقائه به كما في النصّ التالي:

عن حمران قال: (قال أبو عبد الله عليه السلام وبعد ذكر هؤلاء عنده وسوء حال الشيعة عندهم فقال: «إني سرت مع أبي جعفر المنصور وهو في موكبه، وهو على فرس وبين يديه خيل ومن خلفه خيل، وأنا على حمار إلى جانبه، فقال لي: يا أبا عبد الله! قد كان ينبغي لك أن تفرح بما أعطانا الله من القوة وفتح لنا من العزّ، ولا تخبر الناس أنك أحق بهذا الأمر منا وأهل بيتك، فتغرينا بك وبهم. قال: فقلت: ومن رفع هذا إليك عنّي فقد كذب». فقال: أتحلف على ما تقول؟ قال: فقلت: «إن الناس سحرة يحبّون أن يفسدوا قلبك عليّ، فلا تمكنّهم من سمعك، فإنّا إليك أحوج منك إلينا».

فقال لي: تذكر يوم سألتك هل لنا ملك؟ فقلت: نعم طويل عريض شديد، فلا تزالون في مهلة من أمركم وفسحة في دنياكم حتى تصيبوا منّا دماً حراماً في شهر حرام في بلد حرام!

فعرفت أنه قد حفظ الحديث، فقلت: لعلّ الله عزّ وجّل أن يكفيك، فإنّي لم أخصك بهذا، وإنما هو حديث رويته، ثم لعلّ غيرك من أهل بيتك يتولّى ذلك، فسكت عنيّ».(إثبات الهداة:5/351)